

## رب ضارة نافعة .

كل في حقله يزاول عمله بجد وإخلاص ، يمتاز به الفلاح الذى يملك قطعة من الأرض ، توارثها أباً عن جد فهى كقطعة من جسده ، إذ هجم حصان من مزرعة ( عبد الجليل ) على مزرعة جاره القريب ( هاشم ) فما كان من ذلك الحصان الجرح السريع الوثبات إلا أن أتلّف كمية كبيرة من أشجار الفواكه الصغيرة ومن المحاصيل الزراعية التى كانت فى أدنى أدوار نموها وترعرعها ولم يهدأ إلا عند ما أوشك أن يقضى على جميع نباتات مزرعة ( هاشم ) وعند ذلك حل العداء محل الصداقة بين هاتين الأسرتين فقد أصر هاشم على قتل الحصان مهما كان نوعه ، ولكن صاحبه أبى ذلك لأنه كان حصاناً عربياً ممتازاً ، لايسهل الحصول على شبيه له وكان عبد الجليل يعلق عليه آمالاً كباراً فكانت رغبته أن يدخله فى حلبات السباق عله يحصل من ذلك على مكسب وافر يغنيه عن أعمال الفلاحة الشاقة ، فطلب من جاره أن يعفيه من هذا الجزاء وهو على استعداد لأن يعطيه أى مبلغ يرغب فيه ولكن هذه المحاولات لم تجد فيئلاً . وانقسمت القرية إلى قسمين كل يؤيد أحد الطرفين وأخذ العداء يشتد بين أفراد تلك القرية بصورة مزعجة فكثرت جرائم القتل والحرق ووسائل الانتقام المتعددة واستمرت حالة هذه القرية حوالى عشر سنوات لايسودها إلا القلق والاضطراب فحل الخراب والفوضى وتناقصت الحاصلات عاما بعد عام .

وبعد هذه المدة الطويلة بزغ فجر جديد على سماء القرية إذ تأمرت الدول القوية فقسمت فلسطين بين سكانها الحقيقيين والدخلاء ، وعند ذلك قام عرب فلسطين يدافعون عن حقوقهم فكانت حرب العصابات ضد اليهود وكانت قربتنا هذه بين مستعمرات يهودية فكانت محلاً لهجوم الصيونيّين عليها وكان هذا الهجوم على هذه القرية يتطلب منهم أن يكونوا صفاً واحداً ضد عدوهم لئلا يستطيعوا أن يصدوا هجماته المتلاحقة ، وعند ذلك جمع ( عمدة ) القرية أعضائها ونصحهم بأن يعودوا كما كانوا من قبل ، فوجدهم على استعداد كبير لأن يصطالحوا ويكونوا ببدأ واحدة ضد عدوهم . وقد تم له كل شئ على مايرام ، ورجعت القرية على ما كانت عليه من قبل . ورب ضارة نافعة ؟

يعقوب الحمير

كان السلام والرفاه يرفرفان على أرض الميعاد عام ١٩٣٨ عندما وقع طرف من هذه القصة فى ذلك الحين . فقد كانت المحاصيل وفيرة ، والمواشى ناعمة فى مراعيها وأشجار الحوامض غزيرة الإنتاج ، وكان سكان قرية . . . يعيشون مطمئنين فى ذلك الخير العميم ، يساعد بعضهم بعضاً إذا جد مايدعو لذلك ، ولم يكونوا سكان قرية واحدة فحسب ، بل كانوا أفراد أسرة متأخية .

وفى أحد الأيام بينما كان الفلاحون يشتغلون فى مزارعهم

قال مستدركا : إنك تهمنى يا صديقى بتهمة أنا منها براء ولعل لك العذر فى ذلك فيظهر أنك لم تفهم ما أعنيه . فأنا لم أقل ذلك إلا لآحق لى أن أقوله وإلا كنت محقاً فى أن تدعونى جاهلاً بل وغيباً بليد ! التفكير جامد الشعور . . . ولكن المجتمع — مجتمعنا — هو الذى ينكر علينا ذلك وهو العقبة الكاداء وحجر العثرة التى تقف فى طريق وتحول بينى وبين إرضاء رغبتي واشباع ميولى لأن الموسيقى عندنا لا يتولى أمرها ولا يقوم على شئونها إلا الـ ( . . . ) . قلت : لو كنت مكانك يا صديقى لما القيت للجمع بالا أو أعرته أهمية لأن الذنب ذنبه هو وليس ذنبك أنت حينما نزل بالموسيقى من سمائها الرفيعة ومكانتها السامقة إلى المنزل الوضيعة فخر من شأنها وأوكل أمرها إلى هؤلاء الـ ( . . . ) الذين تحدثت عنهم . وإذا كان مجتمعك لا يقدر هذا الفن العظيم حقيقة ولا ينزله من نفسه المنزلة اللائقة فأحر بك ألا تراعيه أو تداريه أو تكون له عبداً ليس لك إلا الطاعة العمياء التى لا يوجهها تفكير ولا إتران . فكأن يا صديقى سيد نفسك واعمل ما يحلو لك مادمت ترى أنك على صواب وأن غيرك على خطأ وما دمت ترى أنك لم تسيء إلى أحد أو تغط له حقاً . ولا تعتقد أبداً بأن هؤلاء الذين قيدوك بهذه القيود الوهمية بأوفر منك ذكاً أو أصوب تفكيراً . ولو أن كل شاب منا خضع أو تردد أو أحجم عن الأقدام فى سبيل غاية يصبوا إليها لبقينا فى مكاننا جامدين لا نقدم خطوة إلى الأمام ولا نصل إلى هدف وويل لنا حينئذ من أنفسنا ، وويل لنا من غيرنا فقد حق علينا الخسران المبين إلى يوم الدين . .

على زكريا الانصارى